



في كل مرة أعيش فيها مهنة تتكرر المشاعر ذاتها، وكأنني لا أتعلم من تجاري!

ليس أنا فحسب، بل جنس ذلك الإنسان العجيب في عجلته وسرعة تحوله وغفلته حال السعة، و Yashe و تبرمه حال العسر والشدة، وصدق الله إذ يقول: (وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَغْرَضَ وَنَأَى بِجَانِيهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَوْسُوسًا) {83} (الإسراء).

ينظر إلى حالة الضيق التي يمر بها وكأنها سرمه لا يزول، وينسى ما كان عليه قبلها من الفسحة والفيض والخير، ولا يستطيع تخيل ما سيأتي بعدها من الرُّوح والفرج.

إن اليسر هو الأصل، وإنما يستخرج الله ببعض الشدائيد مِنَّا ألواناً من العبوديات؛ غفلنا عنها حين سبنا في تيار الحياة الرخي، فأراد بلطنه أن يسمع نجوانا وشكوانا، وأن يرى قلوبنا الموجعة، وأن تترطّب عيوننا ببعض الدمع الذي جفَّ في مآقينا!

أعرف العسر الذي مرَّ بي أو يمر وأقاسي مراته وحرارته وقسوته، ولكنني لا أحتسِب ولا أدرِي من أين يأتيني الفرج، فربِّي يرزقني من حيث لا أحتسِب، واليسر يأتي متنكراً ويطرق الباب كفريب!

ومن هنا ذكر الله العسر معرضاً، وذكر اليسر منكراً فقال: (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) {5} (إنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) {6} (الشرح)، ربط الآية الأولى بما قبلها بالفاء؛ لأنها تعقب على معاناة الرسول الكريم ووعد خاص له بالتيسير، أما الآية الثانية فجاءت مطلقة وقاعدة عامة لكل من ينتظر اليسر من الله تقول له: إن اليسر موجود وقائم وليس قادماً أو منتظراً فحسب فهو "مع" العسر وهو بعده أيضاً.

إنه يسر الرضا والصبر، ومن رُزق الرضا فلا يبالي بما وراءه، وكان عمر - رضي الله عنه - يقول: «الغنى والفقير مطيتان، والله ما أبالي أيهما ركبت».

وجاء كثيراً في القرآن نعم من يعبد الله على "حَرْفٍ" أي: على حال واحدة، فإذا تغيرت ترك ما كان عليه.

رضيت في حبك الأيام جائرة \*\*\* فلعلم الدهر إن أرضاك كالعذب!

إنه يسر العطايا المغلفة يبعثها الله إلينا بصورة لا نتوقعها لتسوّقنا بلطف إلى رحابه، وتساعدنا على معرفة جوانب ضعفنا،

وتضع أقدامنا حيث كان يجب أن تكون.

إنه الألم الموجع الذي يُعلمنا أن نقف مع الضعيف قبل أن نجري الحسابات ونلمح الأرباح والخسائر والمصالح الواقية، فمن جرّب وقع الظلم حريٌ به أن يكره قليله وكثيره، وأن ينأى بنفسه عن مظنته، وأن يواسى المظلوم ولو بكلمة طيبة أو دعوة صالحة.

وكمما يقول الشاعر:

لَعْمَرِي لَقُدْمًا عَضَنِي الْجُوعُ عَصَنَةً \*\*\* فَالْأَيْتُ أَلَا أَمْنَعَ الدَّهْرَ جَائِعًا!

إنه اللهب المقدس يأتي على كل الأصياغ والمظاهر الصورية التي نتزين بها وندعّيها ولا يبقي لنا إلا الحقيقة المجردة نقف أمامها بلا تزييف.. هكذا نحن بمخاوفنا وأوهامنا، وحساباتنا الناقصة واستعجالنا، وتشاؤمنا و Yasna.

إنه الميزان القسط الذي تطيش عنده ادعاءات، وتخور صداقات، وتثبت أخرى تقول لك: إن الدنيا لا تزال بخير، والطيبون فيها كثير!

إنه محاولة الدفع بالجهد البشري الضعيف، فلا تتحقر شيئاً مهما قل، وعليك البدء وعلى الله التمام؛ (وَهُزِي إِلَيْكِ بِحِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَكَيْكِ رُطْبًا جَنِيَا {25}) (مريم)، إلى جنب التوكل على الحي الذي لا يموت، ولا يعجزه كرب أن يكشفه، ولا هم أن يرفعه، ولا بلاء أن يدفعه.

إنه انتظار الفرج من مؤمن تشرب قلبه الثقة بما عند الله، وكانت ثقته بما عند الله أعظم من ثقته بما عند نفسه، وانتظار الفرج إيمان وعبادة!

بالأمس كنت مع من تحب، وكنت فيما تحب، وأنت الآن محروم فلا تبتهش، سيعود إليك وتعود إليه بأفضل مما كان، فتنفس هواء الأمل، واستعد لفرحة الوصول، ولا تسمح لشباك اليأس أن تلتف عليك.

إِذَا رَأَيْتَ الْوَدَاعَ فَاصْبِرْ \*\*\* وَلَا يَهُمَّنَكَ الْبَعَادُ  
وَانْتَظِرِ الْعَوْدَ مِنْ قَرِيبٍ \*\*\* فَإِنَّ قَلْبَ الْوَدَاعِ (عَادُوا)

(فَمَا أُوتِيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ {36}) (الشورى)، صدق الله العظيم.

موقع د. سلمان العودة

المصادر: